

المساحة الحرة للجنس في رواية الخيال العلمي العربية رواية " أعشقتني " .. سعاد عريوة - د عمار بن لقريشي

المساحة الحرة للجنس في رواية الخيال العلمي العربية

رواية أعشقتني لسناء الشعلان أنموذجا

سعاد عريوة - طالبة دكتوراه

د . عمار بن لقريشي

اجامعة محمد بوضياف - المسيلة

الملخص :

Abstract :

This article is devoted to the study of the value of sex in the contemporary Arabic novel of science fiction especially in Sanaa Shaalan novel "Adore Me". The recent development of the novel tends to break taboos through imaginary worlds, taking its material from the "unsaid". In Sanaa Shaalan novel "Adore me", whose events take place in the third millennium, in one of the distant galaxies, the novelist gives us an new vision of sex through a prospective situation in crisis. The novelist uses body language surpassing all categories of social control. It was a disguised and polysemic discourse that we examine in this article.

Keywords: science fiction, sex, masculinity, femininity

يتناول موضوع المقال ثيمة الجنس في رواية الخيال العلمي العربية المعاصرة تحديدا في رواية " أعشقتني " لسناء الشعلان ، ذلك أن الرواية في تطوراتها الأخيرة أصبحت تنزع إلى كسر التابوهات بالولوج في عوالم تخيلية تتخذ من المسكوت عنه مادة لها، وفي رواية أعشقتني التي تجري أحداثها في الألفية الثالثة ضمن إحدى المجرات البعيدة تطلعن الروائية على رؤية خاصة لموضوعة الجنس ضمن وضع استشرافي مأزوم ، استعملت الروائية لغة الجسد متجاوزة بذلك كل مقولات الضبط الإجتماعي لقد كانت خطابا مكتنزا بالعديد من الدلالات التي نبحتها في هذا المقال.

الكلمات المفتاحية :

خيال علمي ، جنس ، ذكورة ، أنوثة .

تمهيد

عرفت الرواية العربية المعاصرة تحولات جذرية لم يسبق لها مثل من حيث البنية والتشكيل والأبعاد، ويرجع ذلك التحول إلى انفتاحها على رؤى جديدة في الكتابة وإلى تطور الحياة ومضامينها والوعي

المساحة الحرة للجنس في رواية الخيال العلمي العربية رواية "أعشقتني" .. سعاد عريوة - د عمار بن لقرشي بها خاصة، وغدت الرواية تبحث عن الشكل والدلالة الأكثر تجسيدا لمغايرة لا تكتفي بها هدفا في حد ذاته بل تسعى إلى الكشف عن عوالم فنية تتفجر دلاليا كل ذلك بصبغة نسبية.

إن حداثة الكتابة الروائية وفق هذا المنظور، تدعو إلى تجاوز منطق الذهنية التقليدية التي وجهت الروائي ليكتب وفق شروط خاصة، وهكذا فالمثاقفة كحالة عاشها الروائي العربي جعلته يفكر في خلخلة الموروث القيمي والخروج عن نمطية الكتابة التقليدية التي لم تصمد مبررات وجودها أمام الموجة الإيديولوجية التي حركت البنى المفهومية لمنظومة القيم التي راحت تتحل منذ أن جاء النظام العالمي الجديد، وما انجر عنه من عولمة فكرية أخضعت النص الروائي العربي إلى قوى فكرية مؤثرة فيه حددت له مرجعياته، حتى أن التابو واستباحة المحظور كان هدفا للكثير من الروائيين فبموجبه يتموقع الروائي في مكان خطير وشديد الحساسية لأن نصه يحتمي بقصدية الجراءة في كشف المسكوت عنه، والنبش في أشد القضايا التي تحتل الشك في الدين والسياسة والجنس .

الإيروسية والكتابة عن الجنس طرحت العديد من التساؤلات حول ماهية هذا التوظيف وإن كان يخدم أطرافا معينة؟ أم أنه يندمج في رؤية فكرية مشروعة تستبيح توظيفه لغرض أسمى وبذلك يمتلك جدارة قوية في الوجود وفي صناعة المرتكزات العلامة للجنس والجسد في النص الروائي؛ على أن هذه الظاهرة موجودة منذ القديم في الثقافة العربية؛ فقد زخر الشعر العربي بمشاهد جنسية على غرار شعر أمروء القيس وشعر أبو نواس وغيرهم، وكذلك ما ورد في القصص والنوادر والحكايات وبعض الكتب مثل (الروض العاطر في نزهة خاطر) لمؤلفه (النفزاوي) فهو كتاب في الجنس أخذ طابعا دينيا تحدث فيه النفزاوي عن كل ما يتعلق بالجنس "وهذا عنوان لكتاب مثلما أنه ميثاق وتوصيف لجغرافية الجسد الأنثوي: الروض العاطر. هذا الجسد/الروض يفوح بعطره من أجل النزهة، نزهة خاطر المذكر. وحينما أذكر هذا العنوان (عنوان كتاب الشيخ النفزاوي عن النكاح) فإنني أشير إلى ثقافة عريقة يمثلها هذا الكتاب ويصدر عنها. وهي هذا نموذج والشواهد من الأدب العربي القديم كثيرة

المساحة الحرة للجنس في رواية الخيال العلمي العربية رواية " أعشقتني " .. سعاد عريوة - د عمار بن لقرشي خاصة ما حفلت به حكايات ألف ليلة وليلة من ثقافة الرجل عن الجسد الأنثوي ويذكر الغدامي في سياق تحليله لمقدمة كتاب النفاوي أنه لا يجعل متعة الرجال بالنساء والعكس، ولكنه يحصر اللذة والنعمة تحديدا في أعضاء الجنسين التناسلية، حتى إنه ليضع العقل والدين في ذلك الموضع تحديدا فالفرج هو مكان النعمة واللذة والعقل والدين... مما يقطع بجسدية العلاقة الإنسانية ببعدها الشبقي البحث¹ فهذه المصادر تحوي مشاهد جنسية زادت من ثقافة العربي في هذا المجال وكذلك من خلال احتكاكه بالثقافة الفارسية وغيرها، وبمرور البشرية عبر مراحل تطور هامة، كان الأدب يتطور كذلك فكانت الرواية مجالا خصبا لموضوعة الجنس وفي تقدم معرفة خاصة به تتكيف مع مقصديه الروائي فتدفعنا لسبر مدى قدرته على النهل من الثقافة الأصيلة والاستفادة من الآخر لينتج أدبا إنسانيا ذا قضايا مهمة في الوجود الإنساني وبالتالي الابتعاد عن منطق العبث والتجارة باسم الثقة العمياء بحرية الكتابة "وهي مادة سردية تؤسس الكتابة وفق تحفيز مبدأ الرغبة . فالرغبة في الكتابة التجريبية تشكل مدخلا- أساسيا - لاخترق تحنيط المقدس (لغويا كان أو جسمانيا أو أخلاقيا) إنه أفق الكتابة بالجسد، وهو مناط التلويين القيمي للسرد وفق مثيرات أسئلة الحداثة وغوايتها² إنها كتابة تتفتح على إمكانات المندس غير أننا نقع على مفهوم آخر للجنس في رواية الخيال العلمي.

رواية أعشقتني لسناء الشعلان تحديدا استعملت الروائية لغة الجسد متجاوزة بذلك كل مقولات الضبط الاجتماعي كانت خطابا مكتنزا بالشهوة والتعري والكشف المباح ذلك وقد هيئت كل أسباب تحرك هذه الموضوعة في مساحة حرة نقل بموجبها من المندس في الكتابة إلى المقدس في الكتابة والحياة فالجنس في ذلك العالم التكنولوجي المتقدم أصبح من الطرق البدائية في التكاثر؛ بل إنه من طقوس الأساطير القديمة، لذلك وهذا ما يدفعنا إلى طرح كثير من التساؤلات في هذا الصدد : ماذا نقصد بالمساحة الحرة للجنس في رواية الخيال العلمي ؟

و ماهي أسباب توظيف الجنس في الرواية؟

وهل يلجأ إليه الروائي لأنه المكون الأبرز لثقافة المجتمع المحافظ ؟

هل توظيف الجنس يعني أن الروائي هو خارج القضايا المهمة في حياة الإنسان؟

المساحة الحرة للجنس في رواية الخيال العلمي العربية رواية "أعشقتني" .. سعاد عريوة - د عمار بن لقريشي
هل غياب المتابع النقدي كان السبب في وجود ظاهرة توظيف الجنس في الأعمال
الروائية؟

هل توظيف الجنس في الرواية يأتي على حساب الرسالة الأخلاقية للرواية ؟
هل يستعمل الجنس للإثارة أم انه يدخل في بنية الرواية ليقدم رؤيتها الجوهرية؟
هل حضور الجنس في الرواية مسئول عن نجاحها ؟
هل يمكن الوصول إلى كتابة توظف الجنس دون المساس بالذائقة الأخلاقية؟
ماذا نقصد بالمساحة الحرة للجنس في رواية الخيال العلمي
إن الإجابة عن هذه الإشكالية تسترعي منا قراءة فاحصة لأنموذج الدراسة
رواية أعشقتني لسناء الشعلان لذلك سنتمحوور الدراسة على مجموعة من الفرضيات
الأساسية المستنبطة من المتن الروائي في حد ذاته وهي :

- 1- الرجل بين الذكورة والأنوثة والجنس الثالث.
- 2- الجنس فعلا بدائيا من الأساطير القديمة سنة 3010م.
- 3- الخروج بالجنس من المدنس إلى المقدس.
- 4- لغة الجنس في معادلة الحب وانطلاق الطاقة.
- 1 - الرجل بين الذكورة والأنوثة والجنس الثالث.

كتبت سناء الشعلان روايتها الموسومة بأعشقتني وهي رواية من أدب الخيال
العلمي سنة 2009م تقع أحداثها في الأفية الثالثة، كشفت فيها عبر ثمان فصول عن
بنية روائية تستجيب لمعطيات رواية الخيال العلمي ومحدداتها حيث امتد زمن الرواية
من 3008م إلى 3013م وهي تكسر أفق انتظار القارئ منذ الوهلة الأولى بذلك
التجاوز بأن تجعله يتصور إمكانية الجمع بين رأس باسل المهري وهو رجل ذو مكانة
عسكرية مهمة، فعمله كان في المخابرات المركزية على جسد شمس التي كانت تكافح
أو بتعبير الروائية تتناضل من أجل أن تحيا حياة طبيعية تلك الحياة التي ترفضها
حكومة الفضاء الجديدة وتعاقب عليها اشد عقاب وهكذا كانت شمس ضمن قائمة
الخارجين عن القانون ومن فئة المتمردين لذلك عذبت حتى الموت.

المساحة الحرة للجنس في رواية الخيال العلمي العربية رواية " أعشقتني " .. سعاد عريوة - د عمار بن لقرشي
وكان جسدها فقط متناسبا جينيا مع رأس باسل المهري، وتظهر حنكة
الروائية في المزامنة بين حيرة القارئ وحيرة باسل المهري نفسه يرفض هذا الوضع
والقارئ أيضا يستغرب هكذا إمكانية وهنا تبدأ الكاتبة في الكشف عن جزء من شخصية
كل من باسل وشمس لتأجج ذلك التعارض بين الشخصيتين على مستوى نمط الحياة
فهما مختلفان كثيرا في علاقاتهما ومستوى المكانة، لكن في الأخير تنتصر رغبة الحياة
عند باسل المهري فتجرى له عملية التركيب حيث سيعيش هذا التركيب الجديد وهو من
سيعاني في تقبل هذا الجسد الأنثوي فبالرغم من أن الفروق واضحة بين الرجل المرأة
غير أن سؤال الهوية في رواية أعشقتني يستمد مشروعيتها من ذلك الحدث الطبي الكبير
الذي سوغ لأطباء المجرة فكرة تركيب دماغ باسل المهري في جسد المرأة شمس لنكون
في هذه الرواية بإزاء شخصية روائية مركبة مزدوجة وفي كثير من الأحيان لا هي
مذكورة ولا هي مؤنثة.

إن غياب الهوية الحقيقية لشخصية باسل المهري جعلته يمر بالكثير من
الحالات النفسية التي ترجمها حديثه النفسي الطويل عبر متن الرواية والذي كشف عن
المشهد الصراعي الذي يعتمل داخله، فهذا الجمع يجعلنا نتساءل عن مقصدية الروائية
بالحدث، لماذا سخرت الروائية الجسد الأنثوي للرجل فيكتشفه ويكشف عنه دون أي
حاجز؟ حيث تبدأ أولى مراحل اكتشاف هذا الجسد في بعده الحسي وتشكله بما يعكس
خصوصية الجسد الأنثوي³ بكل مكوناته.

هذا الكشف يعكس في الرواية مؤشرات مهمة حول الحياة الجنسية لسكان
مجرة حكومة درب التبانة، إن بعض الإحساسات اللاشعورية والسرية المتسببة في
شعور باسل المهري باللذة لم يكن يفهم منها شيئا، إلا بعض المعلومات التي قرأها في
كتب من العصر القديم فيما يتعلق بحياة القدماء وممارساتهم الجنسية في التكاثر.

فكان المجرة في هذا الوضع المتقدم فقدوا الكثير من خصائصهم البشرية
؛حيث تطور الإنسان كثيرا في مختلف مناحي الحياة ، ومس ذلك التطور بنيته
الجسدية فتجاوز الإنسان تجاوز تلك الممارسات الجنسية التي تحولت إلى تاريخ
منسي .

المساحة الحرة للجنس في رواية الخيال العلمي العربية رواية " أعشقتني " .. سعاد عريوة - د عمار بن لقرشي
وقد تميز سكان مجرة درب التبانة بتشوه الأعضاء التناسلية، وهذا يعني أن
فعل الجنس إنما هو فعل منقرض بل إن الحكومة في المجرة تمنعه وتفرض غرامات
باهضة على مرتكبيه وقد تصل العقوبة حد الموت؛ لذلك يمارس بطريقة لاشعورية
وفطرية بكثير من السرية، ولكن ذات باسل المهري تصدّعت عندما اصطدمت بواقعها
الجديد بالسكن في الجسد الأنثوي " لكن مفاجئة رهيبية كانت في انتظاره لقد اختفى
العضو، تحسس مكانه برعب وتوتر فتأكد من فقدانه مخلفا وراءه تجويفا.... تذكره
بالشكل المنفر للجزء السفلي من جسد زوجته الذي اقترن في ذهنه بالتبول والتغوط
ورائحة التعرّق الكريهة ⁵ إن أول فعل للتواصل مع الجسد الجديد كان في منطقة
جنسية لقد جعلت الروائية الحركة في البداية مستهدفة لجزء من جسد الرجل في حالة
من اللاوعي ولكنها جعلها في مساق اكتشاف العضو الجنسي للمرأة فتبرزه للعيان بكل
مكوناته وتجعل الرجل هو من يكشفه .

الحركة هذه ليست مجانية؛ بل هي بداية لمشروع الجنس في حكومة مجرة
درب التبانة المتطورة على أن باسل المهري وبسبب التعبئة النفسية ضد الجسد الأنثوي
الذي يسكن فيه كره هذا الجسد بكل ما فيه وعاش كثيرا من الحالات النفسية المعقدة،
فتارة يحس بالبؤس والضعف والتماهي بالسلطة من طرف هذا الجسد وتارة يحس
بشوفينية ذكورية مسلوبة وتارة باستعلاء ذكوري عنيد، لقد كانت ذاته ملتبسة رافضة
وهي في أقصى درجات الغضب والتوتر، إنها الحالة التي جعلته يكره وجوده بهذا
الشكل على الرغم من أن سياسة وسكان هذه المجرة يعترفون بالمخنثين وحقوقهم إلا
أنه لا يريد أن يكون مثلهم " في حضرة جسدها أشعر بكل الغربة والتطفل، ولذلك
اعتدت منذ أسابيع على أن أجلس في الظلام لكي لا أراه ولإيراني فقد بت أكره طقوس
الاستئذان التي ألزم نفسي بها اتجاهه أخجل كلما حممته أنزعج كلما أعربه لحاجة أو
لعلاج، أعاند طاقتة دون رحمة قبل أن أستسلم له فأحكه في منطقة فرج أو ثدي أو
فخذ أو أكشف عورته من أجل تبرز أو تبول ⁶ وقد لجأ إلى العنف كافتخار ذكوري
وحاول إثبات سيطرته وسلطته على الجسد الذي يحيا به ويسكن فيه " فضعف
المراقبة الطبية عليّ جعلني أنفرغ تماما لقهره ولإذلاله، وللتجبر على هزيمته المزعومة

المساحة الحرة للجنس في رواية الخيال العلمي العربية رواية "أعشقتني" .. سعاد عريوة - د عمار بن لقريشي
أمامي الشعر الجميل اللزج يعاني من تشابكات مريرة من قلة تمثييطه وتسريحه
والفخذان وجلد ما تحت الثديين يعانيان من تقرحات شديدة ومؤلمة من طول الاحتكاك
وملوحة التعرق وأنا لا أبالي به على الرغم من ألمه الشديد الذي يضرب في رأسي⁷
لقد كره هذا الجسد وكره أيضا ذلك النتوء في منطقة البطن، ظنه في بداية الأمر مرضا
أو ورما وقرر استئصاله قبل أن يخبره كبار الأطباء بأنه حمل بطريقة بدائية في
التكاثر البشري تسمى الجنس وأنه سرعان ما يخرج بعد تسعة أشهر كما ورد في
معلومات مستقاة من الأساطير القديمة.

2- الجنس فعلا بدائيا من الأساطير القديمة سنة 3010م:

التطور العلمي والتكنولوجي الذي وصلت إليه البشرية في عام 3010م
تبعه تغيير في نمط الحياة حيث قدمت الروائية تصورا لشبكة علائقية بين البشر تقوم على
نظام مفروض من الحكومة حيث لا مجال للتكاثر عن طريق الجنس فقد جعلت للسلوك
الجنسي تعقيد أكثر من الازم وهي تتحو منحى الإفراط في تغييبه على أنه في المجتمعات
السابقة نشاطات جنسية مرفوضة خارج إطار المؤسسة الأسرية كالاغتصاب والدعارة وبعض
أشكال الشذوذ الجنسي؛ لكن ضمن قانون حكومة مجرة درب التبانة الجنس مخالفة يعاقب
عليها القانون والعقوبة تصل حد القتل لكن السؤال المطروح لما تفرض الحكومة هذا القانون
وتعتد به كإجراء صارم؟

لعل الإجابة عن هذا التساؤل تتلخص في رغبة الحكومة في الحصول على
سكان بمعايير خاصة وفق شروط ومتطلبات الحكومة، وكل ذلك للحفاظ على النظام
والدقة والآلية التي يسير بها هذا العالم الجديد لذلك يمكننا المقارنة بين طرائق التكاثر
بين المجتمعات التي تنتمي لعالم الأساطير حسب نظرة حكومة درب التبانة وبين نظام
التكاثر في المجرة وفق هذا الجدول:

المساحة الحرة للجنس في رواية الخيال العلمي العربية رواية " أعشقتني " .. سعاد عريوة - د عمار بن لقرشي

طريقة التكاثر سنة 3010م	طريقة التكاثر قديما
التواصل عبر أدوات تناكح مخبريه.	تواصل جسدي (التقاء النطفة بالبويضة)
توضع الأجنة في بنوك الأجنة وتنمو في حاضنات آلية.	ينمو الطفل في الرحم.
تحدد صفات الطفل وشكله ورغبات الوالدين فالطفل معدل وراثيا	يكتسب الطفل الصفات والمورثات من والديه.
يولد الطفل بعد الحصول على آذونات الزوجية و آذونات إثبات النسب	ينمو الطفل في الرحم ويتطور بمرور الأشهر .
يتم الحصول على طفل معدل ويسهر على نموه ورعايته المساعد الآلي .	يولد الطفل ولادة طبيعية وتسهر الأم والأب على تربيته ورعايته.
ينمو الطفل وينذر لدراسات تخدم مصالح حكومة المجرة ويعمل لديها مع الحصول على زوجة	ينمو الطفل ويكبر ، يزاول الدراسة ثم يتجه للعمل ويتزوج وهكذا الدورة.

إن الاختلاف واضح بين زواج يتم بالتقاء جسدين وزواج آخر إلكتروني وتبعاً لهذا فإن الجنس: هو فعل بدائي والحمل هو ظاهرة غريبة " وهم ما يدرون أنني اكتشفتها قبلهم بمساعدة صديقي الآلي الذي بحث لي دون توقف حتى كاد شحنه يتوقف في الشارع العمومي الضوئي السريع في المكتبات الإلكترونية، والمتحف الكوني المتحرك والقوائم التراثية الممغنطة والحزم المعلوماتية السرية، والمنتديات التراثية الإشعاعية عن حقيقة هذا المرض الذي كنت أخاله خطيراً، ليفضح لي حقيقته ويكتشف بأنه حالة منقرضة للشكل التقليدي السائد في الألفيات الماضية للتناسل عند

المساحة الحرة للجنس في رواية الخيال العلمي العربية رواية "أعشقتني" .. سعاد عريوة - د عمار بن لقرشي
البشر"⁸ لقد امتعض باسل المهري من هذا الشكل التقليدي في الزواج "فاتهم أن يعرفوا
معنى المتعة المضغوطة في أقرص انفعالية تستخدم وفق برنامج مقنن للإشباع
الجنسي تحدده مؤسسات العمل لموظفيها اعتمادا على لحظات أوجهم ومناسيب
أمزجتهم وعطلهم الرسمية، وفاتهم أن يحصلوا على أبناء معدلين وراثيا وفق أدق
طلبات الزوجين... وفاتهم كذلك أن يعرفوا معنى التآلف الإلكتروني والزواج الآلي"⁹
إن الزواج الآلي يتم من خلال تقديم طلبات خاصة في نماذج رسمية وتعمل
الحكومة على تنسيق الطلبات وتحدد بشكل مفروض الشريك ومكان الإقامة بأن يتم
اقتطاع جزء من الراتب الشهري لهم نظير الإقامة.

إن الملاحظ لشكل الحياة في حكومة مجرة درب التبانة يدرك بشكل جلي الآلية
الطاغية على كل مظاهر الحياة فيها، فسكانها منذورون لخدمة العلم وتطوير
التكنولوجيا بينما العاطفة والحب والقيم الإنسانية غائبة، يظهر الإنسان وهو في هذه
البيئة بخواء روحي واضح، الهوية بكل أبعادها النفسية والاجتماعية غائبة ماعدا تلك
الهوية الإلكترونية التي تختزله كنصر رياضي أو فيزيائي يؤدي وظيفة معينة، لذلك
عملت الحكومة بكل أجهزتها على ترسيخ هذه الهوية ومحاربة كل هوية أخرى تقارعها
" فالجسد هو أول هوية للإنسان فيه يتحقق الوجود البشري، وإذ تأتي النفس والعقل
والإدراك والعاطفة من تفاعل الجسد وامتداده بالحياة، فإن أي انتقاص من قدر الجسد
يكون انتقاصا من إنسانية الإنسان"¹⁰ هذا التصور غير فاعل سنة 3010م فالإنسان
مفصول عن رغباته وغرائزه التي تجعله يكتشف ذاته يقول ميشال فوكو " إن الجنس
يمارس وظيفة أخرى أيضا، تخرق الوظائف الأولى، وتدعمها إنه دور عملي هذه المرة
أكثر منه نظري، بالفعل عبر الجنس، .. يجب أن يمر كل امرئ حتى يصل إلى
معقوليته الخاصة .. إلى كلية جسده .. وإلى هويته"¹¹ إذن الجنس في هذا الزخم
التكنولوجي هو المسكوت عنه والسؤال الصامت الذي سيجعل البطلة شمس تنمرد على
قوانين حكومة المجرة بكل أنظمتها الصارمة "إنه إنسان يقول لا ولئن رفض فإنه لا
يتخلى، فهو أيضا يقول نعم، منذ أول بادرة تصدر عنه، إنه العبد الذي ألف تلقي
الأوامر طيلة حياته يرى فجأة أن الأمر الجديد الصادر إليه غير مقبول، فما هو فحوى

المساحة الحرة للجنس في رواية الخيال العلمي العربية رواية "أعشقتني" .. سعاد عريوة - د عمار بن لقرشي
هذه ألاء¹³ فحوى هذه اللاء سنتعرف عليها من خلال العنصر الموالي الذي ينقل
الجنس من دائرة المدنس إلى دائرة المقدس .

3 - الخروج بالجنس من المدنس إلى المقدس:

كانت المهادنة هي السبيل الذي سلكته شخصية باسل المهري للتخفيف من
شدة الصراع النفسي المتصاعد والحيرة التي كانت تهدد كيانه، كان عليه معرفة
شخصية شمس ليعرف ذاته، لقد كانت شخصية نضالية مشهورة تنتمي إلى الحزب
المعارض لحكومة مجرة درب التبانة، إن جسدها الذي يلعبه ليل نهار كان قضية رأي
عام فهو لا يزال مثار نزاع وتطاحن بين حزبا والحكومة، لقد أحس باسل المهري
بالحماسة لاكتشافها بل سعى إلى ذلك وتحصل على الكثير من المعلومات الحزبية
والسياسية والفكرية بفضل معارفه في أجهزة المخابرات المركزية للمجرة، فالحزمة
الضوئية التي كانت آخر ما كتبت أصبحت في متناوله حيث ورد في بدايتها هذا
الكلام الذي بدى غير مفهوم لباسل المهري " وحدهم أصحاب القلوب العاشقة من
يدركون حقيقة وجود بعد خامس ينتظم هذا الكون العملاق، أنا لست ضد أبعاد الطول
والعرض والارتفاع والزمان، ولست معنية بتفكيك نظرية أينشتاين التي يدركها ويفهمها
أكثر الطلبة تواضعا في الذكاء والاجتهاد....ولكنني أعلم علم اليقين وورثة المتصوفة
والعشاق المنقرضين منذ آلاف السنين أن الحب هو البعد الخامس الأهم في تشكيل
معالم وجودنا، وحده الحب هو الكفيل بإحياء هذا الموات وبعث الجمال في هذا الخراب
الإلكتروني البشع.." ¹³

كان هذا الكلام المكتوب مستغلقا على باسل المهري مشفرا لم يفهم منه غير
أن الحب كبعد خامس كما تدعوه هي ربما يكون نظرية جديدة جاءت لتستدرك نظرية
أنشطاين النسبية لكن الحزمة الضوئية هذه بكل ما حوته من يوميات خاصة
بالشخصية شمس ستحمل منهج جديد للحياة حيث دونت فيها تفاصيل علاقتها الجنسية
بخالد بوصف لغوي جنسي دقيق لقد كانت تنتهي كل الرسائل الغرامية التي يرسلها
عشيقتها خالد بلازمة " أشتهيك " فهذه الكلمة تعبر عن عطش جنسي وشوق شبقى لتلك
اللقاءات السرية في الليالي، لينتج عنها هذا الحمل الذي يعيش في أحشاء باسل

المساحة الحرة للجنس في رواية الخيال العلمي العربية رواية "أعشقتني" .. سعاد عريوة - د عمار بن لقريشي المهري، هذه اليوميات كتبت للجنين كرسالة من أمه، هذا الجنين كان نتاج علاقة غير شرعية بين شمس وعشيقها خالد فشمس كانت متزوجة من رجل آخر لكن السؤال المطروح هنا ما هو الدافع لقيام علاقة خارج المؤسسة الأسرية؟ هل هذا الفعل كان تجسيدا للحرية؟

وإذا كانت الحرية مرتبطة بقدرة الإنسان على تحمل أعباء مسؤوليته، فما هو الدافع في تمرير الجنس بهذه الطريقة ألا يعني هذا بوقوع شيئين محضورين أولهما العلاقة خارج المؤسسة الأسرية وثانيهما الفعل الجنسي مع العشيق؟

إن الروائية تبرر هذا التوظيف في المتن الروائي لغرض آخر لأن العلاقة الجنسية بين خالد وشمس انتقلت من مستوى الفعل العادي إلى مستوى الفعل المقصود قصدا ليكون عنوانا لقضية ومبدأ وقد هجرت شمس زوجها نتيجة لامتعاضها من البناء الأسري الهش في هذه المجرة ولأنه لا وجود لكلمة طلاق فيها معتبرة الطلاق حقا إنسانيا لذلك سعت لقضيتها وباركتها والدليل على ذلك " أنت الجنين الأول من نوعه وبطريقة تكوينه منذ أكثر من ألف عام في تاريخ الكون، بعد تسعة أشهر سوف تغادرين رحمي وتحملين للعالم رسالة الحب الجديدة أنت فقط من ستعيدين الجنس إلى قاموس البشرية وسوف تردين الاعتبار والوجود لمعنى التناسل الإنساني، والحفاظ على الصفات الوراثية، والشفرة الجينية، بعد أن أصبح البشر أبناء التعديل الوراثي والمعامل والبنوك وبنوك المني والصفات المشتركة من بنوك لا أبناء آبائهم وأمهاتهم المنسوبين إليهم وفق الأوراق الرسمية، والمستندات الحكومية"¹⁴

تحول الفعل الجنسي إلى مصدر للفخر والتميز، فشخصية شمس تدعو جنينها القادم إلى الاحتفاء بطريقة وجوده في الحياة، الطريقة الأكثر قربا من فطرة الإنسان وحقيقته في ظل ابتعاد البشر عنها بعالمهم المتطور تكنولوجيا المتأخر روحيا " حبيبتني افخري فأنت ابنة أبيك وأمك بحق، أنت لحظتهما، وثالوثهما المقدس، وليدة فعلهما الجنسي وعشقهما الروحي، إياك بأن تقبلي أن تنتسبي في يوم إلى غير خالد قد تنتسبين من باب حل مشكلة قانونية إلى زوجي، ولكنه ليس والدك، تذكرني دائما أنت لست إلا امتدادا لخالد ولي وللبعد الخامس للوجود"¹⁵ وهكذا أخرجت الروائية الجنس

المساحة الحرة للجنس في رواية الخيال العلمي العربية رواية " أعشقتني " .. سعاد عريوة - د عمار بن لقرشي من دائرة المدنس إلى دائرة المقدس وعملت على توفير البيئة والسياق المناسب لتجعل منه أمرا مطلوباً تحت قاعدة الغاية تبرر الوسيلة، ولأن الغاية هنا هي إعادة التوازن للبشر بالعيش بشكل طبيعي على ما فطر عليه الإنسان فإن كل الطرق مشروعة أمام القضية الكبرى على اعتبار أن استمرار الوضع على ما هو عليه يهدد الإنسان، إن الهالة التي أحيطت بهذا الفعل أدخلته في دائرة المقدس وكان المعبر هو الحب فالحب لا يتحقق إلا من خلال الجنس، هذه كانت قناعة الشخصية شمس التي ألبستها الروائية دور المرأة المميز المشهود له تاريخياً وأسطورياً في التغيير حيث تورد الدكتورة أمينة غصن في كتابها "نقد المسكوت عنه في خطاب المرأة والجسد والثقافة" ما مفاده أن المرأة منذ البدء كانت تتوق إلى المعرفة واستشهدت بنصوص من التورات وسفر التكوين ومن الأساطير، إن حواء مثلاً دفعت سيدنا آدم للأكل من شجرة المعرفة فأكلا منها وكانت نتيجة فعلهما أن كشف عن جسديهما "16" لقد كان هذا الفعل خطيئة فالروائية تطابق بشكل ما بين الحداثين مع اختلاف في الظروف، لأن شمس وخالد عارضاً قانون حكومة المجرة و عملاً على اكتشاف جسديهما، والطاقة الجنسية الكامنة فيهما وشعور اللذة المحروم منه سكان المجرة ،وهكذا حدثت معرفتهما بالجنس .

تحكي شمس لجنينها فتقول " كانت الأرض في بداية الخلق جميلة، ببحار زرقاء هادئة، وأشجار خضراء باسقة .. لكن البشر أفسدوا كل شيء بشروهم، وحرورهم، وتطاحنهم، الدماء الحمراء أغرقت كل الأماكن ...الآلهة ضاقت ذرعاً بهم وأرسلت إليهم أمطاراً لا تتوقف كي تغرقهم أجمعين وجعلت تميمة الخلاص في فعل الخير ولكن البشر يقو في شروهم، ...حتى كانت قبلة عاشق وعاشقة، كانت قبلة وداع قبل الموت غرقاً...ففرحت السماء بها، وهللت الآلهة سحرها فتوقفت أمطار السماء المتدفقة...إكراماً للقبلة "18" لقد منحت الروائية القبلة صفة القدسية وجعلت هذا الالتقاء بين العاشقين سبباً لرضاها وعفوها وهكذا أخذ الجنس بعده القدسي .

4- لغة الجنس في معادلة الحب وانطلاق الطاقة

إن زواج شمس الأول عبارة عن صفقة حقق بها زوجها المحامي شهرة واسعة النطاق حينما دافع عن قضية شعرها الطويل، حيث كانت الحكومة تعاقب أصحاب

المساحة الحرة للجنس في رواية الخيال العلمي العربية رواية " أعشقتني " .. سعاد عريوة - د عمار بن لقريشي
الشعر الطويل من باب فرض شكل موحد بين البشر فهي لم تحس بالحب والأمن
اللذان كانت تتشدهما فيه ، فهذا الحرمان والآلية في علاقتها مع الرجل جعلها تقيم
علاقة مع غيره هذه العلاقة ستكون لغوية بامتياز ويمكننا ملاحظة اشتغال الروائية
على لغة الجنس لأنها مبنوثة في كيان الرواية بأسره ،فهي تصف العلاقة الجنسية
معتمدة على تقنية التصوير و المشاهد المتوالية ،وهذا التصوير قائم على عرض
التفاصيل سواء في وصف الأجساد أو الممارسات ،القارئ يمكن أن يلاحظ بكل بساطة
لهجة التحدي البارزة في لغة الروائية حيث أنها كانت مندمجة في الموضوع حيث
تموقعت خارج أي مساحة من مساحات الإرغام أو سلطة المراقبة أو ما يسمى
بالضبط الاجتماعي ، لأنها كانت تتشرب حرية الكتابة فهذا الحضور المكثف للغة
الجنس والوصف الصريح له كان يماثل قوة وتجبر سياسة حكومة مجرة درب التبانة
التي حاصرت حرية الإنسان والروائية لم تصل بهذا الوصف إلى هذا المستوى إلا
لأنها دخلت في دائرة صراع محموم مع طرف قوي فكان عليها أن ثمائلة في لهجته
وتحديه .

بالنسبة لنا نحن القراء في هذا العصر تبدو المعلومات التي تقدمها الروائية عبر
لغتها عن الجنس معروفة عند الجميع ، المميز فيها هو مسحة الشعرية وذلك الإيقاع
الداخلي الذي يؤشر عليه اختيار الكلمات بشكل متناسق؛ ولكن الروائية وضعت في
اعتبارها أن أحداث الرواية وقعت في زمن مستقبلي تنعدم فيه المعرفة به ؛ وبذلك
دخلت في مساحة متحررة لتقول ما تريد " أنا لست حزينة الآن بسبب كل ما حدث
معي في الماضي، فكله سخافات لا قيمة لها خلا شعري وكلماتي إلى أن جاء خالد
فأصبح حقيقتي ووجودي الأكيد فهما الحقيقتان الثابتتان وسط عالم من الأكاذيب، فأنا
كنت مجرمة ولست مجرمة، وبطلة ولست ببطلة، وناثرة ولست بثائرة، وبيتمة ولست
بيتمة فولدادي وفق ما هو مذكور في أوراقي الرسمية لم يكونا والدي حقيقة فأنا لا
أحمل جيناتها...وفي الوقت نفسه أنا زوجة لبيرق نوفل الأشقر، ولكنني لست
زوجته، بل أنا صفقة من صفقاته الناجحة" ¹⁸

المساحة الحرة للجنس في رواية الخيال العلمي العربية رواية "أعشقتني" .. سعاد عريوة - د عمار بن لقرشي
إن العالم كله مزيف وغير حقيقي والحب والارتباط الإنساني هو من سيرسم بدايته
"قبل لحظات أخذت حماما دافئا، وأغمضت عيني، وتخيلتك ..."¹⁹ اقتناع باسر
المهري بهذا الاتجاه في الحياة سيكون المجال الوحيد الذي تنتصر به الروائية لتحمي
فكرتها في الجنس عندما يؤمن باسل المهري سيعمل على أن يحافظ على الجنين
الذكر ،والذي لم تختره الروائية ذكرا عبثا؛ بل ليكون الرجل الذي يحمل قضية والديه
،وهذا التأثير لم يكن نابعا من فراغ فكل تلك الحملات الدلالية في الجنس تمكن منها
عبر القراءة ،قراءة مذكراتها ورسائلها التي صاغتها بأسلوب أدبي رفيع ومن هنا
تحاول الروائية أن توصل لنا فكرة أن ما كتب في الرواية قد قُرى أيضا في الرواية
وباسل المهري يمكن أن يكون أنت ولكن في زمن آخر، فكان من نتائج هذا التأثير
قبوله بجسد شمس وحبه لجنينها معتبرا إياه ابنا له ، حتى إنه رفض العودة إلى زوجته
وطفليه أبناء الطبيعة المشوهة، وقرر تجاهل زوجته وراح يتمسك بالحزم الضوئية كنزا
معرفيا رومنسيا أذهله "إن القبلة لوعة وحاجز بنته اللغة، فانتفضت مخابئ الأصوات
تعزف مع شفاه العاشق معنى لا فرق فيه بين الحب والجنس، ولا مسافة تفصل الجسد
عن الروح، ولا معنى للروح بلا جسد ...، آه كم أشتاق إليك كي أقبلك يا شفاهي يا
لحني"²⁰ هناك علاقة وطيدة بين الحب والجنس والجسد والروح ،فكلها تتصهر لتحقيق
المعرفة بأسرار الوجود ومعنى الحياة " أتعرفين ما هو الجنس ياورد إنما الجنس صلاة
في ملكوت العراء، خشوع في سماوية الشهيق.."²¹ نلاحظ في هذا المشهد وما يأتي
بعده وصفا دقيقا للجنس دون أي حساسية اتجاهه بلغة شعرية طافحة حيث كان للقبلة
قدسيته " القبلة فتنة عجزية لا تعرف خوفا أو قسرا، إنها ربة الشهقات والزفرات
والخلجات، ..."²² مزجت الروائية بين ما هو صريح وإيحائي فهي ترصف الكلمات
بتناسق كبير مع وقوعها في بعض الفقرات النصية في التقريرية والتكرار ،على أن
السمة الغالبة في هذه اللغة هي أن تكون وسيلة جمالية للتأثير في المتلقي الذي
يفترض فيه حسب الروائية أن يكون مؤمنا جديدا بهذا المشروع الجنسي " أنا أعشق في
المرأة صمتها وكلامها وغنجها وصدقها وحبها، وعشقها أن لا تكون متمنعة حد النفور،
وأن تكون رقيقة حساسة ...، أي أن لا تكون هناك حدود فالحب والجنس والموت

المساحة الحرة للجنس في رواية الخيال العلمي العربية رواية "أعشقتني" .. سعاد عريوة - د عمار بن لقرشي كلها شيء واحد بين عاشقين²³ هناك تعرية صريحة للجنس تتعزز وترنو للوضوح أكثر في الحدث الجنسي الحقيقي الذي هيئت له كل فصول الرواية " فتنكاثر اللذة في نفسي، فتكاد تقسمني امرأتين أو تزيد أغمضت عينيها وهي تطلق ابتسامة في وجهه...." 24 ، عبرت الروائية عن الفعل الجنسي بكل تفاصيله وبلغت شاعرة التفت حول أفعال الجنس والتمست من ذائقة القارئ القبول من خلال لغة شعرية حالمة جعلت باسل المهري نفسه يقرر السفر ليلد الجنين في القمر حيث أقارب الجنين من عائلة خالد ، وتنتهي الرواية بإيمان باسل المهري بالله بعد أن كان الإلحاد عقيدة كل البشر في المجرة.

الخاتمة :

لقد وجهت رواية الخيال العلمي أنظار متلقيها إلى تنبؤات مستقبلية، حيث تأسست بموجبها رؤية تتخذ من توظيف الجنس في الرواية هدفا يستوفي مبررات وجوده في رواية أعشقتني من طبيعة العالم التخيلي الذي صاغته الروائية، والذي ضمن مساحة حرة تتحرك فيها تيمة الجنس بكل تجلياتها بحرية كبيرة .

ومن خلال دراستنا لتيمة الجنس في رواية الخيال العلمي توصلنا إلى النتائج الآتية :

- 1- رواية الخيال العلمي العربية من خلال رواية "أعشقتني" كانت مجالا فسيحا لاختراق تابو الجنس وإيجاد مساحة حرة له.
- 2- السلطة الذكورية في حكومة مجرة درب التبانة لا تزال سائدة وانتقال السلطة من الأسرة البطريركية إلى حكومة مجرة درب التبانة في حصار الجنس ومنعه .
- 3- يعتبر الجنس من الممارسات البدائية في التكاثر وهو ممنوع حفاظا على النظام الذي تقره الحكومة في الحصول على نمط واحد من البشر المعدلين دون مراعاة للخصوصية الأفراد .
- 4- إن مصادرة الجنس ومنعه أدى إلى الخواء الروحي للأفراد واقتربهم من الآلية وفقدانهم لقيم التواصل والروابط الاجتماعية الوثيقة.

- المساحة الحرة للجنس في رواية الخيال العلمي العربية رواية "أعشقتني" .. سعاد عريوة - د عمار بن لقرشي
- 5- بنية المجتمع في حكومة مجرة درب التبانة بنية متصدعة مزيفة لا علاقة حقيقية فيها .
- 6- كل النتائج السلبية لغياب الفعل الجنسي ستؤدي إلى انهيار البشرية لذلك يجب بعث الجنس من جديد.
- 7- بعث الجنس اتخذ طابعا قدسيا حيث أخرجته الروائية من المحرم إلى المقدس .
- 8- إن قدسية الجنس لم تأتي عبثا وإنما خطت له الروائية وجعلت من هذا التخطيط الأرضية والمساحة التي ستمكنها من التعبير عن الجنس بكل دقائقه وتفصيله.
- 9- لقد جاء توظيف الجنس في الرواية مندمجا مع رؤية الروائية فهي تعتمد حلا للبشرية في مراحل شديدة التطور ليكون سبيل لخلاصها والبداية الجديدة في الحب ومعرفة الطريق إلى الله والإيمان به.

الهوامش

1. ينظر، عبد الله محمد الغدامي: المرأة واللغة - 2 - ثقافة الوهم مقاربات حول المرأة والجسد واللغة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 1998، ص: 7
2. محمد أمصور إستراتيجيات التجريب في الرواية المغاربية المعاصرة، شركة النشر والتوزيع والمدارس، الدار البيضاء، ط1 2006، ص: 111
3. سناء الشعلان: أعشقتني، مؤسسة الوراق للنشر وللتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2002، ص

34

4. المرجع نفسه، ص: 35

5. المرجع نفسه، ص: 35

6. المرجع نفسه، ص: 35

7. المرجع نفسه، ص: 56

8. لمرجع نفسه، ص: 66

9. المرجع نفسه، ص: 66

- المساحة الحرة للجنس في رواية الخيال العلمي العربية رواية "أعشقتني" .. سعاد عريوة - د عمار بن لقريشي
10. زليخة أبو ريشة: أنثى اللغة - أوراق في الخطاب والجنس، دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق، 2009، ص:51-52
11. فوكو ميشال: إدارة المعرفة، تر: محمد مطاوع الصفدي، دط، دت، ص 155
12. كامو ألبير: الإنسان المتمرد، تر: نهاد رضا، منشورات عويدات، بيروت، ط2، ص:18
13. سناء الشعلان: أعشقتني، ص:69-70
14. المرجع السابق، ص:87
15. المرجع السابق، ص:87
16. ينظر: أمينة غصن: نقد المسكوت عنه في خطاب المرأة والجسد والثقافة، دار المدى، دمشق، ط1، 2002، ص:16
17. سناء الشعلان، أعشقتني، ص:132
18. المرجع السابق، ص:145
19. المرجع السابق، ص:190
20. المرجع السابق، ص:192
21. المرجع السابق، ص:192
22. المرجع السابق، ص:192
23. المرجع السابق، ص:196
24. المرجع السابق، ص:211